ولما وصل الى هذه الالفاظ الاخيرة التفت الى حاشيته وبدأ يخاطبهم بصوت خافت وانا انظر اليه حائراً بائراً. ثم نهض من مكانه فقام له الجند بالسلام كما فعلوا حينما قدم ورجع الى البلد بتعظيم وتبجيل واردت الدخول معه لكن حال بيني وبينه جماعات الناس وبينما كنت احاول الاتصال بينهم شعرت كأن واحداً دفعني فصحوت من نشوة الكرى وقد انطبعت في مخيلتي الرؤيا التي رأيتها في عالم الخيال فوجدته مطابقاً لعالم المثال فاغرورقت عيناي بالدموع وقلت: رحماك يارب رحماك! اسألك بان تلطف بعبادك وتقيم لهم رجالاً ذوي حزم وعزم ينظرون في الامور على ماهي ويتبصرون في العواقب لكي يعود الى البلاد الاطمئنان والعمران، فيخفق بجناحيه على جميع هؤلاء السكان، فانت الرحيم وانت الرحمان. ٢٠ — ٨٠٤٠

الذرعة

L'impôt étrange de l'Irâq, nommé Dhar'ah.

بمناسبة ما حصل في العام الماضي من توالي شكايات الزراع وفي هذه السنة من تشكي الحكومة من الذرعة — واغلب الناس في الولاية فضلا عن الموجودين خارجاً عنها، بل حتى موظفي (مأموري) الذرعة انفسهم يجهلون اصولها (ومعاملاتها)، ولا لوم عليهم ولا تثريب لانها خاصة بالعراق، بل ببعض انحائه فقط، وذلك على قاعدة ان احكام حكومتنا العثمانية جارية في الاغلب «على التعامل» (كما يقولون، اي على العادة الجارية في ذلك المحل منذ القدم) فلا تشبه معاملة معاملة حتى في الجنس الواحد — احببت ان ابين حقيقتها ليعلمها الجميع ويطلعوا على خفاياها اطلاعاً كافياً بحسب الامكان وقصدت نشر ذلك في مجلة (لغة العرب) لما هي عليه من كثرة الانتشار ولان عموم الطبقات الراقية في كل البلاد يديرونها الالتفات الجدير بها، ولان مثل هذه الامور لا فائدة من نشرها في صحف تقرأها العوام، فلهذا رأيت ابقاءها مخلدة في هذا التاريخ، والله المستعان.

٢ تعريفها وذكر واضعها وسبب وضعها

الذرعة (وزان سيعة) نوع من الضريبة تضرب على الاراضي المزروعة ارزاً واول من اقام اصولها مخلص بك دفتردار ولاية بغداد (اي امين خزينتها) في نحو سنة ١٢٧٧ مالية اي سنة ١٨٦١ ميلادية. وكانت الحكومة قبل ذلك تضمن الاراضي

(وهم يقولون بهذا المعنى: تعطى الاراضى بالالتزام) والضامن (اى الملتزم) يقتسم المزارع مع الزراع وتأخذ ريعها (اى عوائدها)؛ فرأى المومااليه ان لزراع يسرقون القسم الكبير من محصولات التمر [اى ريع الارز] وعند المقاسمة لا يبقى للضامن [او الملتزم] الا الشيء الطفيف، ويظلمهم فيأخذ منهم اكثر من حقه، وهو محق فى مايظنه.

والسبب فى سرقة الزراع هو جور العمال وطمع الضامنين معاً. اما طمع الضامنين فلانهم كانوا يريدون الحصول على اضعاف ماسلموه الى الحكومة. تضلاعما كانوا يؤدونه يومئذ للموظفين من كبير الى صغير. واما جور العمال فلانه لم يكن للحكومة العثمانية مكافأة للمحسن ولا مجازاة للسارق الخائن كما كان دأبها. فكم سمعنا عن اخذهم للمحاكمة ويكاد يتصور السامع ان المأخوذ يشنق عن قريب لان جرمه عظيم، فلا تمر بضعة ايام حتى يسمع ببراءته رفقاً به او بيته. اللهم الا اذا كان الموظف [المأمور] صغيراً وسرقته حقيرة فحينئذ يعاقب، على حد قول الشاعر التركى:

ملیونلە چالان مسند عزتلە سرقت ایدن بر قاچ غروشلك مرتکبی جای کرکدر

معناه: ان سارق الملايين قائم على منصة العزة اللائقة بجلاله، والمختلس لبضعة غروش مستحق للسجن.

٣ كيفية الذرعة

يخرج بضعة موظفين [مأمورين] برأسهم ناظر وتحت ايديهم ذارعون ومحافظون [واغلبهم لا يميزون بين الزرع الذى يراد ان كان ارزاً او حنطة او شعيراً] فيذرعون الارض المزروعة بحبل طوله ٥٠ ذراعاً بذراع اليد الذى هو عبارة عن نصف متر فيكون طول الحبل نحو ٢٥ متراً. والارض التى طولها حبلان فى مثلهما عرضاً [اى ٥٠ متراً] يسمونها [مشارة][١] واكون زرع الارز يحتاج الى كثرة المياه، يضطر الزراع لزرعه على حافات الجداول؛ ولكثرة الفلاحين تضيق عليهم الحافات فلذا يجعلون لكل فلاح على النهر قسحة يتراوح قدرها بين ٨ اذرع و ٢٠ ذراعا بذراع اليد اى مابين ٤ و ١٠ أمتار. فهذا عرض الزرع. واما طوله وهو مايسمونه

[١] المشارة فى كتب اللغة: الدعرة التى فى المزرعه اى البقعة التى تزرع. وقدرها فى السابق جريب. اما اليوم فانها تبلغ نحو (دونم جديد) اى تبلغ ارضا مساحتها ١٢٥٠٠ متر مربع. وتجمع المشارة على مشاور ومشائر. (ل. ع)

بلغتهم [النزال] [١] فيمتد الى ١٠٠ او ٢٠٠ حبل والحبل كما ذكرناه نحو ٢٥ متراً فتتصل مزارع البعض بمزارع البعض الآخر تقريباً لان كل طائفة من الفلاحين مربوطة بشيخ وهو الذي يسمونه [سركال] [٢].

فاذا اتى الذارعون اخذوا اولاً بذرع [النزال] اي طول الزرع فلا يعارضهم احد. لكن الطامة الكبرى في العرض اذ هناك تقوم قيامة الزراع مع الذارعين لانهم اذا ارخوا الحبل او شدوه او بلوه بالماء حدث فرق كبير، اذ على الذراع الواحد يبنى حساب طول المزرعة التي هي ١٠ آلاف ذراع او اكثر او اقل. فان كان العرض ٨ اذرع وحصل النزاع على واحد فهو الثمن بالنسبة الى الزرع كله كما لا يخفى والفائز من ارضى الذارع فاغضى له عن ذراع او نصفه! والويل لمن لم يرضه بل ان اغضبه والعياذ بالله! على ان امره اهون مما يليه من الاعمال لان هذا العمل هو (اول عقبة) في هذا الصدد.

(العقبة الثانية) التخمين وهو الخرص، فالخراص وهو المعروف عندهم (بالعمدة) ينظر الزرع بنظره الثاقب فيقول: ان هذه الارض التي ذرعت فكانت ١٠ مشاور مثلاً: ٣ منها وصف زرعها على (اي فاخر) و٢ اوسط و٢ ادنى، و١ عديم (اي كالعدم بمعنى ليس فيه حاصل) و٢ عائد (٣) والقول قوله، فان رضي عن الفلاح قال الاعلى وزاد في العديم او العائد والعكس بالعكس. والرضا لم يكن الا عن طمع في نفس الخراص بعد ان يكون قد تواطأ مع الفلاح على مغنم يجره منه كما هو مألوف العادة يومئذ.

وهنا يحسن بنا ان نعرف القارئ بامر الحساب: فالاعلى على حسب القاعدة يترك منه (اي يطرح منه) السدس في الهندية، والسبع في الشامية. والاوسط يلقى منه الخمس فلا يدخل في الحساب في الهندية. والسدس في الشامية، والادنى يرمى منه الثلث في الهندية. والربع في الشامية. وذلك لان اراضي الشامية اقوى انباتاً واكثر ريعاً من اراضي الهندية، والعائد هو ان يخمن الخراص ما يعود

---

[١] النزال وزان شداد، وسمي كذلك اشتقاقاً من النزول اي الانحدار.

[٢] السركال تحريف السركار الفارسية ومعناها: رئيس الشغل.

(٣) العائد ما يخمن العمدة ما يخص بالحكومة من ريع المزرعة تخميناً لا يعارضه فيه معارض لخاصة ذلك الزرع.

الى الحكومة من حاصلات الزروع من دون « تجبير » والتجبير عندهم هو هذا الحساب اوالتنزيل الذى ذكرناه . فنقول مثلاً : ان هذه الارض ذرعت فكانت عبارة عن ٤٠٠ مشارة فيها : ١٤٠ اعلى و ١٠٠ اوسط و ١٠٠ ادنى فالجملة ٣٤٠ وفيها ٣٠ عديماً لاحاصل فيه و ٣٠ عائداً . فيكون صافى الزرع عن ١٤٠ مشارة الموصوف زرعها « بالاعلى » ١٢٠ بعد ترك السبع . وصافى ١٠٠ الاوسط ٨٠ بعد ترك الخمس وصافى ١٠٠ الادنى ٧٥ بعد ترك الربع فجملة الصافى عن ٤٠٠ مشارة هو ٢٧٥ مشارة لاغير . وحاصل شلب (١) المشارة الواحدة هو ٨٠٠ حقة من حقق الاستانة فيكون حاصل جميع تلك المشاور ... ٢٢٠ حقة . منها النصف للاح اسماً اى ... ١١٠ والنصف الآخر اى ... ١١٠ يعطى خمسه للسركال اى ... ٢٢ والباقى اى ... ٨٨ هو حصة الحكومة . ويلحق بها العائد وهو عن الارض الرديئة الزرع اى يوخذ عن كل مشارة نحو ٦٠ الى ١٠٠ حقة حصة (الاميرى) اميرى . هذه صفة المقاسمة التى جرى عليها التعامل « ذكرناها استطراداً للوقوف على حقائق الامور والا لم يحن وقت ذكرها لاننا لم نزل فى العقبة الثانية »

(العقبة الثالثة) هى عقبة الكتاب والموظفين (المأمورين) فان العمدة يقول للكاتب اكتب : الاعلى ١٤٠ (فيقيدها ٢٠٠) والاوسط ١٠٠ (فيدونها ١٤٠) والادنى ١٠٠ (فيحررها ٢٠) والعديم ... والعائد ... فيقول لسان حال الكاتب : « واذنى عن الفحشاء صماء » . (٢) وكثيراً ماجرى مثل هذه المعاملة معاملة الكاتب لتقييد حاصلات الزراع فكانوا يأخذون اوراقاً من العمدة تشهد بحاصل زرعهم فاذا اتوا لمقابلته بما فى دفتر الكاتب يرون الخلاف فتكثر الجلبة ويعلو الصياح وتشتد المخاصمة حتى انها ربما تنتهى الى امتشاق الحسام كما جرى الامر غير مرة . اللهم الا ان يكون قد وقع التراضى مع الموظف ايضاً قبل حينئذ للخزينة .

(العقبة الرابعة) امر تخمين الاسعار . ان الاسعار يقدرها القضاء فيزيدها الالوآء وربما زادتها الولاية . فيجرى بهذا الخصوص مخاصمات كثيرة حتى يبلغ فيها السيل

---

(١) الشلب (بكسر فسكون) هو الرز بقشره عند اهل العراق (le riz(dans la balle) وبالانكليزية Paddy (٢) اى انى لااحب ان اسمعك تقول : فيه « عديم وعائد » فما ان الكلمتان عندى بمنزلة الالفاظ البذيئة ولهذا امر اذنى عن سماعهما .

الزبي. اما سعر الحقة على الغالب فهو ٢٠ بارة فيكون حاصل الـ ٤٠٠ مشارة التي ذكرناها فوبق هذا اي حصة الاميري منها ٤٤٠ ليرة على الفلاح ان يوديها كيفما كانت الحال. وزد على ما تقدم فعل الحكومة فانها كانت تأخذ من الفلاح دراهم على الحساب قبل ادراك زرعه فتطلب مثلا من هذا الرجل الذي سيكون حاصل زرعه ما حصته الاميرية ٤٤٠ من ٢٠٠ الى ٣٠٠ ليرة على الحساب، وتضطره الى الدفع بالجنود والارهاق فيضطر الى بيع الحاصل قبل ادراكه ويبيع للتجار التيغار(١) الذي هو عبارة عن ١٦٠٠ حقة بثلاث ليرات اي انه يبيع الحقة بسبع بارات ونصف الى ثمان. وهذا البيع يعرف عندهم باسم «على الاخضر»(٢) فيأخذ منهم الدراهم ويدفعها الى الحكومة. وعلى هذا الحساب تكون اثمان جميع حاصلاته ٤١٢ ليرة.

وعند الحساب المار ذكره يكون عليه من الرسم الاميري ٤٤٠ ليرة (هذا ان كان السعر كما ذكرنا وهو ما يكون في السنين الرخية الاسعار. واما في سنة غلاء الاسعار فالمثل يكون مثلين. وهذا كله يجري في انحاء الهندية والشامية. واما في العمارة وما جاورها فرسم الحكومة مقطوع وهو ليرة عثمانية عن كل مشارة سواء زاد السعر او نقص. ولذلك قلنا ان معاملة الحكومة تجري «على التعامل» اذ في كل موطن نوع معاملة وبعد هذا يريد منه الشيخ حصته فيضطر الى البيع على السنة القادمة فيدفع

(١) التيغار وعامة العراق تقول التغار والطغار (وزان سحاب او باسكان الاول) كان معروفاً عند العرب الاقدمين وقد عربوه بصورة تيغار. قال في ذيل الفصيح ص ١١٢: «وهو التيغار على تفعال» اي بكسر الاول «الذي تسميه العامة التغار» — قلنا: والكلمة الاصلية هي تغار الفارسية وزان سحاب. وهم (اي الفرس) يقولون ايضاً: تغاره وتاره. وهو الطست من الفخار اي لاجانة الكبيرة والخابية ويرادبها عندهم ايضاً: الاطمة ولاسيما التي تدخر في تلك الخابية — وايضاً نوع من المكاييل يسع عشر كيلات وكل كيلة عشرة امنان من امنان تبريز. ويقول بعض الفرس فيه ايضاً (تغار) بالضم «وتغار بقاف وزان سحاب. وتجمع تيغار على تياغير واهل الشام يصحفون الكلمة فيقولون الدغار بالدال ويريدون بها الخابية الكبيرة — فيكون كلام العراقيين فصيحاً بمعنى نوع من الاوزان ويختلف قدر التيغار بين ١٠٠٠ و ١٠٤٠ كيلغراماً (راجع لغة العرب ٢: ٩: ٢٤) والمراد بالتيغار هنا ١٦٠٠ حقة استانبية اي نحو ١٠٤٠ كيلغراماً. [ل. ع]

(٢) وهم يقولون (على الخضر) والعرب الاقدمون كانوا يسمون هذا البيع المخاضرة قال اللغويون: خاضره مخاضرة: باعه الثمار خضراً قبل ظهور صلاحها. ومنه في الحديث انه نهى عن المخاضرة [ل. ع]

الى الشيخ طلبه. وفي القابل (العام الذي هو بعد العام الحاضر) لا يفي زرعه لاداء ما عليه من الدين ولما يحتاج اليه من الطعام واللباس فيضطر الى مخاطبة الحكومة. فتبقى البقايا في الدفاتر فترى حاصل الشامية مثلاً ٨٠ الف ليرة. فيدخل منها الصندوق من ٢٠ الى ٣٠ الفاً فقط والباقي يدون في الدفاتر باسم بقاياه وهلم جراً. فيسبب هذا الارتباك الحروب وهلاك الانفس.

هذا ما كانت عليه الحالة في العهد البائد عهد الاستبداد والتحكم ولا يظن القارئ ان في الامر مبالغة او اغراقاً، كلا والف كلا، بل فيه تهوين وتقليل. اما الان فلكوني اعتزلت المداخلات لا اعلم كيف تجري المعاملة في هذا الخصوص!!! لكن مادة الذرعة والحصة والتجبير باقية على حالها بدون ادنى خرق لانها معاملة رسمية.

وفي العام الماضي تولى نظارة الذرعة دفتردار الولاية (امين خزينتها) توفيق بك واوصل الرسوم الاميرية الى ١٢٠ الف ليرة فصاحت العشائر وناحت (لانها كانت تتراوح في السنوات الماضية بين ٣٠ و٥٠ الفاً) ولكن بدون جدوى. وبقي منها قسم دون في دفتر البقايا حسب العادات القديمة. وفي هذه السنة خرج الموظفون بنظارة متصرف الديوانية رشيد بك فكانت الظواهر تدل على ان الحصة الاميرية ستكون ما بين ٤٠ الى ٣٠ الف ليرة؛ فقامت قيامة الحكومة وعزل المتصرف وجرت المفاوضات بين الولاية والاستانة فكانت نهاية الامر ورود الجواب من نظارة المالية ان يؤخذ من الزراع الحاصل المعدل تخميناً اي بحسب حاصل خمس سنوات يؤخذ منها خمسها. فالزراع يقولون: نعم لكن بشرط عدم ادخال السنة الماضية في السنوات الخمس لانا مظلومون فيها ظلماً فاحشاً ظاهراً لكل ذي عينين فلعل الحكومة تصغي اليهم. وهي اعلم بامرها معهم.

قلنا: والسبب الذي الجأ ذوي الامر الى حساب خمس حاصل الاعوام الخمسة السابقة هو ان ارض زرع الارز بمد حصاده يقمرها اصحابها بالمياه خدمة للزرع المستقبل فلا يمكن اعادة ذرعها وان يكن قد سبق للحكومة ذرع الارض بمد حصادها وتخمين العمدة لحسن الزرع وسوئه وان كان مغموراً بالماء فهو من باب المكاشفة (١)

(١) المكاشفة عند الصوفية هو شهود السالك للاعيان وما فيها من الاحوال في عين الحق فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الاسماء الالهية. وهي غير الكشف لان الكشف هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والامور الحقيقية وجوداً وشهوداً

لكن الحكومة الدستورية لم تشأ مجاراة الحكومة السابقة في هذا العمل ايضا!

اما السراكيل او المشايخ فهم يأخذون خمس حصة الحكومة كما ذكرنا ويأخذون من حصة الفلاح نصفها او اقل قليلا من النصف ومن هذا كله تعلم درجة حالة الفلاح العراقي. انعشه الله وانقاله!

احمد رفيق

اربع اسر بلا اثر (تتمة)

Quatre familles de Bagdad, aujourd'hui éteintes.

٣ ـ اسرة مركار اغا

ان مركار (١) اغا او اغا مركار بن افيد خلداريان الارمني غير الكاثوليكي والمولود في جلفا (قرب اصفهان) كان وكيلا في بغداد لشركة الهند الانكليزية التي ينبغي ان نعرف امرها للقراء ليحيطوا علما بمقام هذا الرجل وعليه نقول:

في سنة ١٥٩٩ اسس بعض التجار الانكليز في لندن شركة ذات امتياز غايتها التجارة في بلاد الهند ولم يكن راس مالها اول بدء سوى ٦٤٠٠٠٠ ليرة. لكن لم يمض على تأسيسها قليل من الزمن الا واخذت تكبر وتتسع وتنجح نجاحا لا مزيد عليه وخاصة بعدما انضم اليها ثلاث شركات اخرى انكليزية فانها اصبحت اذذاك كدولة صغيرة في تلك الاقطار تنفذ الوفود (٢) والسفراء الى ملوك وامراء الشرق وتضرب معهم العهود التجارية والسياسية وبمخر اساطولها عباب بحر الهند وخليج العجم وتفتح عساكرها المدربة على الطريقة الاوربية البلاد الواسعة وتشيد الحصون المتينة وتعززها بما لديها من القوة حتى استتب لها اخضاع القسم الاكبر من الهند لسلطانها وكسر شوكة مزاحميها من پورتوغاليين وهولنديين وفرنسيين وهكذا اصبحت او كادت تصبح انكلترة الحاكمة الوحيدة في هندستان المأهولة بمئات ملايين من النفوس

---

(١) راجع للمكاشفة كتاب جامع اصول الاولياء للشيخ احمد الكمشخانوي النقشبندي المجدد الخالدي ص. ٢٦ وطالع في معنى الكشف كتاب التعريفات في مادة كشف).

(١) ان هذا الاسم مقطوع من كلمة ماركاري الارمنية ومعناها نبي وهو عندهم احد نعوت القديس يوحنا المعمدان «يحيى» وكذلك اسم افيد مقطوع من كلمة افيديك او اقيديس اي بشارة.

(٢) ومن جملتهم الوفد الذي ارسلته الشركة الى شاه العجم سنة ١٨٠٠ وعند عودته الى الهند مر ببغداد وكان نازلا فيها بمنزل صاحب المجموعة السابق ذكرها وقد وصف دخول هذا الوفد عاصمة العراق والاحتفاء به وصفا دقيقا ولهذا رأيت ان اورده هنا بالحرف الواحد: